

ALL !N مع جوردان إيزلي

بناء الثروة بطريقة الله

عِشْ طويلاً وازدهر | الجزء الأول | ١ تيموثاوس ٦:١٠ - متى ٦:٢١

مقدمة

إن كنت قد نشأت وأنت تشاهد ستار تريك، فأنت تعرف تحية السيد سبوك الشهيرة: تحية الفولكان والكلمات «عِشْ طويلاً وازدهر». وما لا يعرفه كثيرون هو أن ليونارد نيموي، الذي أدى دور سبوك، كان يهوديًا، وقد استند في إشارة اليد تلك إلى بركة عبرية قديمة من سفر العدد ٦. تُشكّل الإشارة الحرف العبري شين، الذي يرمز إلى شداي: «الله القدير». فبمعنى حقيقي، كان سبوك يستعير من الكتاب المقدس؛ وحين قال «عِشْ طويلاً وازدهر»، كان يرّدد صدى قلب الله، لأن الله حقًا يريد لشعبه أن يعيشوا طويلاً وأن يزدهروا. لكن حين يتكلّم الكتاب عن الازدهار، فهو لا يتكلّم عن السيارات الفاخرة، ولا القصور، ولا لاهوت «قلها فتنالها» — أخرج ذلك من ذهنك. الازدهار الكتابي هو مسألة وكالة: أن تأخذ ما ائتمنك الله عليه وتديره بطريقة تُكرمه، وتبارك الآخرون، وتُغول عائلتنا. هذا ما تدور حوله هذه السلسلة الجديدة، واليوم نبدأ بالأساس: بناء الثروة بطريقة الله.

هل لاحظت كم ينهر الناس بالمال؟ مهما امتلك أحدهم، يريد دائمًا القليل بعد. سُئل الملياردير جون د. روكفلر مرّة: «كم من المال يكفي؟»، فأجاب: «القليل بعد فقط». نقبل وظائف، ونُرجل عائلات، ونفعل أمورًا لا تُسعدنا حتى، كلّها لأجل مزيدٍ من المال. نقود مسافاتٍ إضافية لنوفر بضعة قروش على الوقود، والملايين يحكّون بطاقات الائتمان أملاً في الشراء، لأن المال يطلّ يعد بما لا يقدر أبدًا أن يُوفيه. نعمل ساعاتٍ أطول، ونقلق أكثر، بل نُضحّي بالصحة والعلاقات لننال مزيدًا مما لا نستطيع أن نأخذه معنا — كما يُقال: «لن ترى أبدًا شاحنة نقل أثاثٍ تتبع نعشًا». لكنّ المال بذاته ليس المشكلة. لا يقول الكتاب قط إن المال شرّير؛ بل يقول: «لأنّ محبة المال أصلٌ لكلِّ الشرور، الذي إذ ابتغاه قومٌ صلّوا عن الإيمان، وطعنوا أنفسهم بأوجاع كثيرة» (١ تيموثاوس ٦:١٠). الله نفسه أعطانا القدرة على العمل والكسب والإعالة. تأتي المشكلة حين يصير المال سيّدنا بدل أن يكون وسيلتنا لإكرام الله. فلننظر إلى الثروة لا من منظور وول ستريت، بل من منظور السماء.

النقاط الرئيسية

١. اعمل باجتهاد

الكتاب واضح في أننا مدعوون لنكون عمّالًا مجتهدين: «في كلّ تعبٍ منفعه، وكلامُ الشفّتين إنّما هو إلى الفقير» (أمثال ١٤:٢٣). منذ البدء، صمّنا الله للعمل — قبل أن تدخل الخطيئة العالم، وُضع آدم في الجنة «ليعملها ويحفظها» (تكوين ٢:١٥). العمل ليس عقابًا؛ بل جزءٌ من قصدنا الذي وهبنا الله إياه. وليس مجرّد راتب: «وكلُّ ما فعلتم، فاعملوا من القلب، كما للربّ ليس للناس» (كولوسي

٣:٢٣). سواء كنت معلّمًا، أو ميكانيكيًا، أو والدًا مُلازمًا للبيت، أو مديرًا تنفيذيًا، فريئسك الأعلى هو الربّ — فالعمل ليس فقط ما تفعله لتكسب عيشك، بل ما تفعله لتُحدث فرقًا.

هل لاحظت كيف يبذل بعض الناس طاقةً في تجنّب العمل أكثر مما يتطلّبه إنجازُه فحسب؟ الكسل مُتعب، أما الاجتهاد فيأتي دائمًا بعائد: «الْيَدُ الرَّخْوَةُ تُفْقِرُ، أَمَّا يَدُ الْمُجْتَهِدِينَ فَتُغْنِي» (أمثال ١٠: ٤). حين نعمل باجتهادٍ، تحدث ثلاثة أمور. نُعول عائلتنا — «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ... فَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ» (١ تيموثاوس ٥: ٨). ونكسب احترام الآخرين — «أَرَأَيْتَ رَجُلًا مُجْتَهِدًا فِي عَمَلِهِ؟ أَمَامَ الْمُلُوكِ يَقِفُ» (أمثال ٢٢: ٢٩)، لأن عمل المجتهد يتكلّم عنه. ونُمجّد الله — كلّمنا بذلنا أفضل جهدنا، نقول للعالم: «إلهي يستحقّ تميّزي»، وبصير عملنا عبادةً تُقدّم باسمه. فلا تختصر الطريق ولا تعيش على الحلول السهلة؛ فالله يبارك العمل الجادّ المصنوع بقلبٍ نقيّ.

٢. ادّخر بأمانة

«كَثُرَ مُسْتَهَيِّ وَرَيْثٌ فِي بَيْتِ الْحَكِيمِ، أَمَّا الرَّجُلُ الْجَاهِلُ فَيَبْلُغُهُ» (أمثال ٢٠: ٢١). في العالم القديم، كان الكنز والزيت يمثّلان الأمان والإعالة — البيت الذي فيه زيتٌ مُدّخر كان مستقرًا ومباركًا. يعلّمنا الكتاب لا أن نعمل باجتهادٍ فحسب، بل أن نُدير بحكمة: الحكماء يدّخرون، والحمقى يُنفقون كل شيءٍ بأسرع ما يأتي. الادّخار بأمانةٍ عملٌ وكالة، اعترافٌ بأن كل ما لنا هو في النهاية لله. قال يسوع: «الْأَمِينُ فِي الْقَلِيلِ أَمِينٌ أَيْضًا فِي الْكَثِيرِ» (لوقا ١٦: ١٠) — إن كنّا لا نُؤمّن على مئة دولار، فلماذا يأتمننا الله على عشرة آلاف؟ الادّخار ليس بُخلًا؛ بل استعداد. تأمل يوسف يدّخر القمح خلال سبع سنواتٍ شيع لتنجو مصر من المجاعة — لم يكن ذلك جشعًا، بل حكمة. حتى النملة «تُعِدُّ فِي الصَّيْفِ طَعَامَهَا» (أمثال ٦: ٨). الحكماء يستعدّون للغد.

حين تُدّخر بأمانةٍ، تحدث ثلاثة أمور: نستعدّ لغير المتوقّع (الطوارئ سنأتي، والادّخار يحميننا من الذعر)، ونُهيئ أنفسنا للسّخاء (الفائض يتيح لنا أن نستجيب حين يدعونا الله للعطاء)، ونتمرّن على الاتّكال على الله (لا تُدّخر بدل أن نثق بالله، بل تُدّخر لأننا نثق بالله). لكنّ الادّخار لا يحدث بالصدفة؛ يتطلّب قرارًا («اِحْتَاذُوا لِأَنْفُسِكُمْ الْيَوْمَ» كيف تُنفق)، وعزيمة (هو ثابت، لا براق)، وانضباطًا. تحدّث مرّةً صفّ ماليّةٍ في ثانويّةٍ بهذا: وأنت شابّ، أعطِ ١٠٪ للربّ، وأنفق ٤٠٪، وادّخر ٥٠٪؛ ولاحقًا، أعطِ ١٠٪، وادّخر ١٠-٢٠٪، وعيش على الباقي. ومعه جاءت ثلاثة تحذيرات: لا تعيش فوق طاقتك، ولا تصرّ أسيرًا للدين، ولا تخلق الأعذار — «لا أكسب ما يكفي للادّخار» نادرًا ما يكون صحيحًا. راجع كشف حسابك المصرفيّ وضع دائرةً حول الدولارات المُهدّرة (القهوة، الوجبة الإضافيّة خارجًا، والاشتراك غير المُستخدّم)؛ تلك الدولارات المُهدّرة يمكن أن تصبح دولاراتٍ مُدّخرة حين تختار الوكالة على الاندفاع.

٣. استثمار بحكمة

في متى ٢٥، روى يسوع مثل الوزنات: أعطى سيّدٌ مالاَ لثلاثة عبيد، فاستثمر اثنان وضاعفا ما لديهما، ودفن واحدٌ وزنته في الأرض. حين رجع السيّد، كافأ المستثمرَين — «نِعِمَّا أَتَيْهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالْأَمِينُ! كُنْتُ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأَقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. اذْخُلْ إِلَى قَرْحِ سَيِّدِكَ» (متى ٢٥: ٢٣) — بينما أدان الذي دفن وزنته كعبدٍ كسول. تبرز ثلاثة أمور. أولًا، الاستثمار أمرٌ كتابيّ، ويتجاوز الماليّات: يتوقّع الله أن نُضاعف الوقت والمواهب والثروة التي يأتمننا عليها. ثانيًا، الاستثمار نافع — كما تأتي بذار المزارع

بحصاد، كذلك الاستثمارات الحكيمة تُنشئ بركة قد تتجاوز حياتك: «الصَّالِحُ يُورِثُ بَنِي التَّيِّينِ» (أمثال ١٣: ٢٢).

ثالثًا، الاستثمار أفضل من عدمه. العبد الذي دفن وزنته ظنَّ أنه يلعب بأمان، لكنه في الحقيقة كان يُهدرها — وكتابيًا، كان اللعب بأمان خيانة للأمانة، لأن الله يبارك الفعل لا التقاعس. الإيمان دائمًا ينطوي على مخاطرة: ما كان بطرس ليمشي على الماء لولا خروجه من القارب. تخيل مزارعًا يخاف من فقدان بذره فلا يزرعه قط — بعد أشهرٍ يفسد البذار ولا حصاد، بينما جاره الذي زرع تمتلئ مخازنه بالحبوب. الشيء دائمًا يأتي من شيء، أما اللاشيء فلا يأتي منه شيء أبدًا. حين أربث أولئك الطلاب قوَّة الفائدة المركَّبة — مجرَّد ١٠٠ دولارٍ شهريًّا من سنِّ ١٨ إلى ٦٥ تصبح أكثر من ٦٢١'٠٠٠ دولارٍ بنموِّ ٨٪ — لمعت عيونهم. الدَّخار يبني الأساس؛ والاستثمار يُضاعفه. فلا تدفن ما أعطاك الله إِيَّاه — استثمره، وليس مالك فقط، بل وقتك ومواهبك وعلاقاتك ونفوذك. حين تستثمر بحكمة، فأنت لا تبني ثروةً فحسب، بل تبني شهادة.

٤. تخلص من الدَّين سريعًا

«الْعَبِيُّ يَتَسَلَّطُ عَلَى الْفَقِيرِ، وَالْمُقْتَرِضُ عَبْدٌ لِلْمُقْرِضِ» (أمثال ٢٢: ٧). الدَّين من أثقل الأعباء الماليَّة التي يحملها الناس اليوم — بطاقات الائتمان، وأقساط السيارات، وقروض الدراسة، والرهون العقاريَّة — وعائلاتٌ كثيرة تعيش تحت ضغطٍ دائمٍ بسبب ما تدين به. يقول كلام الله إن الدَّين يستعبدنا: يحدِّ من حرِّيتنا، ويسرق سلامنا، ويمنعنا من أن نكون أسخياء كما يريد الله. هذا لا يعني أن كل دَينٍ خطيَّة، لكنه يعني أن كل دَينٍ أمرٌ جدِّي، والأحكم هو التخلص منه سريعًا لنعيش بحريَّة أكبر. كيف يُزال الدَّين؟ بالمفاتيح الثلاثة نفسها التي رأيناها — قرار، يتبعه عزيمة وانضباط: قلِّل النفقات غير الضروريَّة، عِش دون طاقتك، وسدِّ الديون بقوة. كما يقول ديف رامزي: «عِش الآن كما لا يعيش أحد، لتعيش وتُعطي لاحقًا كما لا يعطي أحد». الدَّين سيُؤدِّ لم يقصد الله أن تخدمه، والتحرُّر منه من أكثر الخطوات العمليَّة لبناء الثروة بطريقته.

٥. أعطِ بسخاء

هنا قلب الرسالة كُلِّها: الازدهار ليس في ما تحتفظ به، بل في ما تُعطيه. اكْتُب هذا: الثروة بلا سخاءٍ مُهدَّرة، والازدهار بلا هدفٍ فقرٌ متكرِّر. يكتب بولس: «مُسْتَعِينِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ لِكُلِّ سَخَاءٍ يُنْشِئُ بِنَا شُكْرًا لِلَّهِ» (٢ كورنثوس ٩: ١١). لا يباركنا الله لنكنز؛ بل يباركنا لنساعد — لنُعول عائلاتنا، وندعم عمله، ونُقَدِّم ملكوته. قال يسوع: «حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا» (متى ٦: ٢١)، فالازدهار الحقيقي لا يُقاس بالدولارات بل بالتكريس، و«مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الْآخِذِ» (أعمال ٢٠: ٣٥). لا تُشبه يسوع قطُّ أكثر مما حين تُعطي.

قبل أكثر من ٢٣٠ سنة، وعظ جون ويسلي عظةً بعنوان استخدام المال، وكانت فلسفته بسيطةً وكتابيَّة لا تُنسى: اكسب كل ما تستطيع، وادَّخر كل ما تستطيع، وأعطِ كل ما تستطيع. حين تُعطي لملكوت الله، فأنت لا تتخلَّى عنه — بل تُرسله أمامك، وكل دولارٍ يُعطى يصير استثمارًا أبدِيًّا. هذا هو التوازن: اكسب باجتهاد، وادَّخر بانضباط، وأعطِ بفرح. حين مات إلفيس بريسلي وشئله أخوه غير الشقيق كم من المال ترك، أجاب: «كلِّه». هذا صحيحٌ لكل واحدٍ منَّا — لن نأخذ معنا فلسًا واحدًا.

لكن حين نعمل باجتهاد، ونُدّخر بأمانة، ونستثمر بحكمة، وتخلّص من الدّين سريعًا، ونُعطي بسخاء، فإننا لا نبني ثروةً على الأرض فحسب؛ بل نكنز كنزًا في السماء. هكذا تبني الثروة بطريقة الله — وهكذا تعيش طويلًا وتزدهر.

أسئلة للتأمل

1. يصير المال خطيرًا حين ينتقل من كونه وسيلتنا لإكرام الله إلى كونه سيّدنا. بصدق، أين يقع المال في حياتك الآن — أداة تُوكّل عليها، أم سيّد تخدمه؟
2. من بين المبادئ الخمسة — اعمل باجتهاد، ادّخر بأمانة، استثمر بحكمة، تخلّص من الدّين سريعًا، أعطِ بسخاء — أيّها أقوى في حياتك، وأيّها يضع الله إصبعه عليه اليوم؟
3. «الثروة بلا سخاءٍ مُهدّرة». ما الخطوة المحدّدة والفرحة للعطاء التي قد يدعوك الله إليها هذا الشهر، وما الذي ستحتاج أن تُعدّله لتُفسح لها مكانًا؟
